

الفصل الأول

بين يدي الاستراء والمغراج

obeikandi.com

سيدنا رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، معجزة التاريخ وهو المنارة التي يهتدى بها الإنسان كلما انبهت الأمور ، أو ضلت الآراء .
وحياته قبل البعثة كحياته بعدها : عظة وعبرة ، وهداية ومثل أعلى لمن أراد الطريق الأقوم .

إن من يتدبر حياته ﷺ قبل البعثة ، ولا يكون عنده فكرة صحيحة عن النبوة من حيث إنها لا تكتسب اكتساباً ، وإنما توهب من الله تعالى . يكاد يعتقد أنه اقتنص الوحي اقتناصاً واضطره إلى التزول اضطراراً وأنه أبى إلا أن يظفر بما يريد فكان له ما أراد .

بيد أن الصواب هو أن الله اصطفاه ، وفضله بالنبوة والرسالة على العالمين ، عندما حان الموعد الذي حددته العناية الإلهية ، لتتجلى بالهداية عن طريق من اختارته رسولا .

يقول الإمام المراغي رحمه الله .:

« النبوة هبة لا تنال بالكسب ، لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح للمستعد لها : القادر على حمايتها » .
(الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

ومحمد ، ﷺ ، أعد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمعه : أحمره وأسوده ، وإنسه وجنّه .

وأعد لأن يحمل رسالة أكمل دين .
ولأن يختم به الأنبياء والرسل ، وليكون شمس الهداية وحده إلى أن
تنفطر السماء ، وتنكدر النجوم ، وتبدل الأرض غير الأرض
والسموات (١) .

أما هذا الإعداد : فقد حاطه الله بعنايته التامة ، إنه أعده من ناحية
أسرته : أعنى من ناحية الوراثة ، وأعده من ناحية فطرته : أعنى طبيعته
الشخصية .

أما من ناحية أسرته ، فهذا جده عبد المطلب كان « سمح الطبع ،
رضى النفس ، سخي اليد ، حلو العشرة ، عذب الحديث » .
وكان عبد المطلب أيضاً قوى الإيمان ، تملك قلبه ، وتسيطر على
نفسه نزعة دينية حادة عنيفة ، ولكنها غامضة ، يحسها ويخضع لها ،
ولكنه لا يتبينها ، ولا يستطيع لها فهماً ولا تفسيراً . (٢) .

« كان فتى من فتیان قريش ، ولكنه يمتاز عن بقية فتیان قريش :
فيه ذكاؤهم وفطنتهم ، وفيه إباؤهم وعزتهم ، ولكن فيه دعة ، لم
تكن مألوفة عندهم ، وفيه شدة من الدين ، قلما كانوا يرضونها أو
يسمون لها .

على أن خصلة أخرى ميزته منهم أشد التميز ، فلم يكن يصدر في

(١) من مقدمة « حياة محمد » للدكتور هيكل .

(٢) انظر كتاب : « على هامش السيرة » .

حياته - كما كانوا يصدرون - عن الروية والتفكير ، وطول التدبير ، وإنما كانت تدفعه إلى العمل ، والاضطراب في الحياة قوة خفية ، يحسها ويأبى عليها ، ويغلو في الإباء ، ولكنه يضطر إلى أن يذعن لها ويصدع بأمرها .

وكانت هذه القوة تصدر إليه أمرها في أشكال مختلفة : تدفعه إلى العمل حيناً وكأنها إرادته الخاصة ، قد ملكت عليه حسه وشعوره ، فهو لا يستطيع عنها انصرافاً ولا يملك لها خلافاً . وتتمثل له حيناً آخر شخصاً واضح الخيال ، بين الصوت ، يلم به إذا اشتمله النوم ، فيأمره أن يأتي كذا وكذا من الأمر .

وكان في هذا الصوت غموض ، وكان في هذا الصوت إبهام ، وكان في هذا الصوت جلال مصدره هذا الغموض والإبهام ، وكان الفتى ينكره ، ويرتاع له ، وكان الصوت يغمره ويلح عليه ، وكان الفتى يخاف هذا الصوت وهواه ، وكان هذا الصوت يتجنب الفتى حتى يؤيسه من نفسه ، ويلم به فيكثر الإلمام . ولم يكن هذا الصوت يقع في أذن الفتى بالفاظ كالتى تقع في آذان الناس ، إنما كان يصطنع ألفاظاً خاصة ، غريبة الجرس غريبة المعنى ^(١) .

أما والده - عبد الله - فقد كان صورة طبق الأصل من جده ، وكان شعاره :

(١) انظر كتاب : « على هامش السيرة » .

« أما الحرام فالمات دونه »

وتقول له فاطمة الخثعمية :

« إني لأعرف فيك نسلك أليك » .

قبيلته : قريش ، وأسرته : بنو هاشم ، وجده : عبدالمطلب ، سيد

قريش إذ ذاك ، ووالده : عبد الله ، فكان هو محمداً .

ولقد اختاره الله للرسالة ، ولكنه ، تعالى : اصطنعه لنفسه ، قبل

أن يمنحه النبوة .

أجل ! وهذه الفترة من حياته ، التي سبقت البعثة ، كانت فترة

جهاد وصراع روحي هادئ بكل معنى الهدوء ، عنيف أشد العنف ،

مستمر لا ينقطع ، فيه الحزن ، وفيه الرجاء ، وفيه الكثير من الأمل

الوثاب ، الذي يشحذ العزيمة ويسد على اليأس القانط كل منفذ .

إن هذه الفترة من حياته كانت - على حد تعبير الجنيد في تعريف

التصوف - عنوة لا صلح فيها .

كان صلوات الله وسلامه عليه ، يتوج كل عام جهاده الروحي

المتصل بشهر يقضيه في غار حراء : حيث الخلوة التامة ، وحيث التجرد

المطلق ، أو شبه المطلق عن كل ما سوى الله . وهناك في سجوة الليل ،

أو في راحة النهار يحاول محمد أن يحطم الحجب ، وأن يخترق المساطر ،

وأن ينفذ ببصيرته إلى عالم الغيب : فيصل إلى سدره المنتهى ، وإلى قاب

قوسين ، أو أدنى ، حتى يشاهد الجمال في سنائه ، والجلال في عظمته

وكبريائه وجلاله .

ها هو ذا الرسول ، ﷺ ، يبذل مجهوداً جبّاراً ، لا يكاد الإنسان يتصوره ، فضلاً على أن يأتي بمثله .

وها هو ذا يرى الهدف بعيداً لا يكاد الإنسان يفهمه فضلاً على أن يصل إليه .

ها هو ذا ، يرى الطريق ، وعناء صعبة المرتقى . . بيد أن ذلك كله : لم يكن إلا ليزيده عزمًا على عزم ، وإرادة على إرادة ، ونشاطاً مضاعفاً .

إنه الجهاد الأكبر ، على حد تعبير الأثر المشهور عن جهاد النفس لتركى .

وتمضى السنون بطيئة سريعة في آن واحد ، وجهاد الرسول ، ﷺ ، لا يفرح حتى أصبح - أو كاد - روحاً خالصة أوقبساً من نور الله وانتهى به الأمر إلى قرب ، يقول عنه الإمام الغزالي إنه :

« أول حال رسول الله ، ﷺ ، حين أقبل على جبل حراء ، حيث تبطل ، حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب : إن محمداً عشق ربه » .

ثم كانت الرسالة ، وكانت المعجزة التى غيرت مجرى التاريخ .
(اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك

الأكرم . الذى علّم بالقلم . علّم الإنسان ما لم يعلم)^(١)
ويقول الدكتور هيكال :

« وجد محمد فيه - فى التحنث - خير ما يمكنه من الإيمان فيما شغلت به نفسه ، من تفكير وتأمل ، كما وجد فيه طمأنينة نفسه ، وشفاء شغفه بالوحدة ، يلتمس أثناءها الوسيلة التى يبرح شوقه يشتد إليه ، من نشدان المعرفة واستلهاهم ما فى الكون من أسرارها .

وكان بأعلى جبل حراء - على فرسخين من شمال مكة - غار ، هو خير ما يصلح للانقطاع والحنث ، فكان يذهب إليه طول شهر رمضان من كل سنة يقيم به ، مكثياً بالقليل من الزاد يحمل إليه ممعنا فى التأمل والعبادة ، بعيداً عن ضجة الناس ، وضوضاء الحياة ، ملتصقاً الحق ، والحق وحده .

ولقد كان يشتد به التأمل ابتغاء الحقيقة ، حتى لقد كان ينسى طعامه ، وينسى كل ما فى الحياة ، لأن هذا الذى يرى فى حياة الناس مما حوله ، ليس حقاً .

« وشارف محمد الأربعين ، وذهب إلى حراء يتحنث ، وقد امتلأت نفسه إيماناً بما رأى فى رؤاه الصادقة ، وقد خلصت نفسه . . وقد أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وقد اتجه بقلبه إلى الصراط المستقيم ، وإلى الحقيقة الخالدة : وقد اتجه إلى الله بكل روحه ، أن يهدى قومه بعد أن ضربوا فى

(١) سورة العلق ١ / ٥ .

تيهاء الضلال .

وهو في توجهه هذا يقوم الليل ، يرهف ذهنه وقلبه ، ويطيل الصوم ، وتثور به تأملاته ، فيحدر من الغار إلى طريق الصحراء ثم يعود إلى خلوته ليعود فيمتحن ما يدور بذهنه ، وما يتبين له في رؤاه . ولقد طالت به الحال ستة أشهر ، حتى خشي على نفسه عاقبة أمره ، فأسّر بمخاوفه إلى خديجة ، وأظهرها على ما يرى ، وأنه يخاف عبث الجن به ، فطمأنته الزوج المخلصة الوفية ، وجعلت تحدثه بأنه الأمين ، وبأن الجن لا يمكن أن تقترب منه .

ولم يدر بخاطرهما ولا بخاطره : أن الله يهيئ مصطفىاه بهذه الرياضة الروحية إلى اليوم العظيم وإلى النبا العظيم : يوم الوحي الأول ، ويهيئه بها إلى البعث والرسالة .

وفيما هو نائم بالغار يوماً ، جاءه الملك وفي يده صحيفة ، فقال له : « اقرأ » (١) .

كانت « اقرأ » مفتتح عهد جديد في حياة الرسول ﷺ ، فند تلك الآونة لم يترك رسول الله ﷺ الدعوة إلى الله قط ، كان يدعو ليلاً ، وكان يدعو نهاراً وكان يدعو في كل لحظة من لحظاته .

يروى الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد - وكان جاهلياً أسلم -

يقول :

(١) من « حياة محمد » للدكتور هيكل .

رأيت رسول الله ، ﷺ ، بصر عيني بسوق ذى الحجاز يقول :

« يأيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا » .

ويدخل فجاجها والناس متقصفون^(١) عليه ، فما رأيت أحداً يقول

شيئاً ، وهو لايسكت يقول :

« يأيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا » .

أقام رسول الله ، ﷺ ، بمكة ثلاث سنين من أول نبوته ،

مستخفياً ، ثم أعلن في الرابعة ، فأخذ يدعو الناس إلى الإسلام عشر

سنين يوافي المواسم كل عام يتبع الحجاج في منازلهم في المواسم بعكاظ

ومجنة وذى الحجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ،

ولهم الجنة ، فلا يجد قبيلة تنصره ، أو رئيساً يجيبه ، حتى إنه ليسأل على

القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول :

« يأيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب ،

وتذل لكم العجم ، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة » .

وكانت قريش تقف في وجه انتشار الدعوة معارضة لها ، ومنكلة

بمن يعتنقها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

ولكن الدعوة كانت تنتشر شيئاً فشيئاً ، كان يعتنق الإسلام من تحرر

من رق العادة والإلف ، ومن طلب الحق والرشاد ، ومن يصبر على

إيذاء قريش ، ومن لا تؤثر فيه دعاية القرشيين .

(١) أى مجتمعون عليه .

ونذكر من هذا مثالين :

١ - كان ضامد رجلاً من أزد شنوءة تخصص في معالجة الأمراض العقلية ، كان يعالج بالرقى ، ويعالج بالإيحاء ، ويعالج باللمس والدعاء ، وكانت مكانته في ذلك الزمن مكانة من نسبيهم نحن في العصر الحاضر بالأطباء النفسيين .

ويذكر الإمام مسلم والإمام البيهقي قصته :
لقد قدم ضامد مكة ، فسمع سفهاء مكة يقولون :
إن محمداً مجنون .

سمع هذا الخبر هنا وسمعه هناك ، فعلم من الجو الاجتماعي ، ومن الأخبار الكثيرة أهمية محمد القصوى في هذه المدينة .
وصدق ضامد واهتم بها اهتماماً كبيراً ، وخيل إليه أنه إذا عالجها فقد اكتسب شهرة واكتسب ثوبة ، فقال : أين هذا الرجل ، لعل الله يشفيه على يدي ؟

ثم يقول :
فلقيت محمداً فقلت :

إني أرقى من هذه الرياح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء فلهم .
أى أنه يدعوه إلى أن يستسلم له ليعالجه .
فقال له رسول الله ﷺ :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن

يضلل فلا هادى له ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً رسول الله .

وتعلقت عينا ضهاد برسول الله ، ﷺ ، وأنصت أذناه وكان كيانه
كله مرهفاً مبهوراً .

ثم قال :

والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء فما
سمعت مثل هذه الكلمات ، ثم طلب من رسول الله ، ﷺ ، إعادتها ،
وكان يسمع بجميع أقطاره .

ولم تكفه الإعادة فطلب من جديد أن يسمعها للمرة الثالثة ، ثم قال
فور الانتهاء من سماعها :

هلم يدك أبايعك على الإسلام ، فقد بلغت كلماتك هؤلاء قاموس
البحر .

ومعنى أنها بلغت قاموس البحر ، أنها تغلغت إلى أعماق أعماق
نفسه ، وامتزجت بباطنه امتزاجاً كلياً ، وذلك أن قاموس البحر هو
أعماق مكان فيه .

ولم ينس المسلمون فيما بعد ضهاد هذا ، فكانوا إذا مرت جيوشهم
على قوم ضهاد أحسنوا إليهم وقالوا في مودة :

« إنهم قوم ضهاد »

وكثيراً ما كانت تبلغ الدعوة إلى التوحيد قاموس البحر - على حد

تعبير ضهاد - فلا يزال من آمن بإيذاء المشركين .

٢ - وهذا أبو ذر الغفارى بلغت به كلمات التوحيد قاموس البحر ، فأعلنها على الملأ من قریش ، غير مبال بما يناله فى سبيلها من أذى .
ونترك الإمام البخارى يذكر قصة إسلامه :

روى الإمام البخارى بسنده عن ابن عباس - رضى الله عنهما -
قال :

لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه :
اركب إلى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبي
يأتیه الخبر من السماء فاسمع من قوله ثم اثنتى .
فانطلق الآخر حتى قدم وسمع من كلامه ثم رجع إلى أبى ذر فقال
له :

« رأيتہ يأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت كلاماً ما هو بالشعر » .
فتزود وحمل شنة ^(١) له فيها ماء حتى قدم مكة ، فأنى المسجد
فالتمس رسول الله ، ﷺ ، ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى
أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه على ، فعرف أنه غريب .
فلما رآه تبعه ولم يسأل واحد منها صاحبه عن شيء حتى أصبح .
ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، دخل ذلك اليوم ولا يرى
النبي ﷺ ، حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه فر به على فقال :

(١) أى قرية .

أما آن للرجل أن يعلم منزله ؟
فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منها صاحبه عن شيء . حتى
إذا كان اليوم الثالث فعاد على على مثل ذلك فأقام معه فقال :
« ألا تحدثني بالذي أقدمك ؟ »
قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت .
ففعل فأخبره .

قال :

فإنه حق ، وإنه رسول الله ، ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعني ، فإن
رأيت شيئاً أخاف عليك فمت كأني أريق الماء ، وإن مضيت فاتبعني حتى
تدخل مدخلي .

ففعل ، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ، ﷺ ، ودخل معه ،
فسمع من قوله ، وأسلم مكانه .

فقال له النبي ﷺ :

« ارجع إلى قومك فأخبرهم ، حتى يأتيك أمري » .

فقال : والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله . ثم قام القوم فضربوه حتى اضجعوه .

فأتى العباس فأكب عليه فقال : ويلكم ! أستم تعلمون أنه من

غفار ، وأنه طريق تجارتكم إلى الشام ؟

فأنقذه منهم . ثم عاد من الغد بمثلها ، فضر به وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه . . .

كان المشركون كلما رأوا شخصاً يدخل الإسلام زاد نشاطهم ، واتخذوا كل ما يستطيعون من احتياطات حتى لا يدخل أحد بعد في الإسلام ، وكان من احتياطاتهم :

١ - التنكيل والتعذيب والإرهاب بكل الوسائل .

٢ - الدعاية الكاذبة ضد محمد ﷺ .

٣ - الترغيب حيث لا يستطيعون الإرهاب ، أو حيث لا يكون الإرهاب مجدياً .

ولن نتحدث عن التنكيل والتعذيب الذى أوقعوه على المستضعفين أمثال :

بلال ، وعمار بن ياسر ، وسمية ، وأمثالهم .

ولن نتحدث عن الإرهاب الذى استعملوه مع رسول الله ، ﷺ ، ومع الأسرة الهاشمية ، ولكننا نعرف أنهم استعملوا مع رسول الله ﷺ وسائل الترغيب أيضاً فى أقوى وأخصب صورة .

وبينا كانت وسائل التعذيب بالمستضعفين من المسلمين تجرى على قدم وساق لا فتور فيها ولا هدنة ، إذا بوسائل الترغيب والإغراء تكال إلى رسول الله ﷺ كيلا .

وهذه صورة منها :

كان عتبة بن ربيعة سيداً في قومه ، قال يوماً ، وهو جالس في نادى قريش ، ورسول الله ، ﷺ ، جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد ، فأكلمه ، وأعرض عليه أموراً ، لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ؟
وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله ، ﷺ ، يزيدون ويكثرون .

فقالوا : يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه .
فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ، ﷺ ، فقال :
« يا بن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والكمال في النسب . وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل مني بعضها .

فقال رسول الله ﷺ :

« قل يا أبا الوليد أسمع » .

قال : « يا بن أخي

إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا : جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ؟
وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ؟

وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ؟
 وإن كان هذا الذى يأتيك رثياً تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك
 طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب
 التابع على الرجل حتى يداوى منه ؟
 حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله ﷺ ، يسمع منه ، قال :
 أفرغت ياباً الوليد ؟
 قال : نعم .
 قال : فاسمع منى .
 قال : أفعل .
 قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم : حم تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب
 فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم
 لا يسمعون .

وقالوا قلوبنا فى أكنةٍ مما تدعونا إليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا
 وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون .

قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ، فاستقيموا
 إليه واستغفروه وويل للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة
 هم كافرون .

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون^(١) .
ثم مضى رسول الله ﷺ ، يقرأها عليه ، فلما سمعها منه عتبة :
أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه .
ثم انتهى رسول الله ﷺ ، إلى السجدة ، فسجد ، ثم قال :
« قد سمعت يابا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك ؟ »
فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض :
نخلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به .
فلما جلس إليهم قالوا :
« ما وراءك يابا الوليد ؟ »
قال :

« ورأى أنى سمعت قولاً ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو
بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة .

يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلّوا بين هذا الرجل
وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ ،
فإن تصبه العرب فقد كفّتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب ، فلكه
ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به »
قالوا : « سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه » .

قال : « هذا رأى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم » .

(١) فصلت الآيات : ١ - ٨ .

قد يقول قائل إنه لو عرض على محمد ، ﷺ ، هذا العرض من هيئة تستطيع تنفيذه لقبل .

هذا القول ينقضه : أن عتبة كان مفوضاً من زعماء قريش ، وينقضه أيضاً الخبر الذى ترويه كتب السيرة .

ولقد اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحارث - أخو بني عبد الدار - وأبو البختری بن هشام ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد ابن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام - عليه لعنة الله - وعبد الله بن أبى أمية ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، وأميرة بن خلف ، اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض :

« ابعثوا إلى محمد فكلّموه ، وخاصّموه ، حتى تعذروا فيه . »
« فبعثوا إليه : أن أشراف قومك قد اجتمعوا ليكلّموك فأتهم . فجاء رسول الله ، ﷺ ، سريعاً وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه ، وكان عليهم حريصاً : يحب رشدهم ويعز عليه عنّهم ، حتى جلس إليهم فقالوا له :

« يا محمد : إنا بعثنا إليك لنكلّمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك : لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفّحت الأحلام ، وفرقت

الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا جثته فيما بيننا وبينك .
فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من
أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ؟

وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا ؟
وإن كنت تريد به ملكاً ، ملكناك علينا ؟
وإن كان هذا الذى يأتيك رثيا ، تراه قد غلب عليك - وكانوا
يسمون التابع من الجن رثيا - بذلنا لك من أموالنا فى طلب الطب لك
حتى نبرئك منه ، أو نغذريك ؟
فقال لهم رسول الله ، ﷺ :

ما لى ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به ، أطلب أموالكم
ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم .

ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، أنزل على كتاباً وأمرنى أن أكون
بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربه ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا ما
جئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر
الله ، حتى يحكم بينى وبينكم » .

واستمر الأمر كذلك : ولا يكف المشركون عن المعارضة والإيذاء ،
حتى كانت السنة الحادية عشرة من نبوته ، صلوات الله عليه وسلامه ،
وكان الإسراء والمعراج ، فارتد من ارتد ، وثبت من ثبت .
كان حادث الإسراء والمعراج هو حادث التصفية الكاملة .

وكان الفيصل بين الطائفتين : طائفة ثابتة على إيمانها ، لا ترزعزعاها
الأعاصير ، تميد الجبال ولا تميد . وطائفة مشركة ، قد أحكمت أمرها ،
ورببت شئونها ، وجزمت العزم على أن تقضى على الإسلام مهما طال
الزمن .

ما الإسراء والمعراج ؟

كيف حدثا !

وماذا تضمننا من مبادئ ؟

وما النتائج التي تربت عليهما ؟